سقراط والاضطهاد الديني

زمزم محمد كامل أحمد (*)

تمهيد:

لقد ظل النظام العقائدي الديني اليوناني الموروث من الأسلاف هو الديانة الرسمية لدول المدينة اليونانية خلال الفترة المبكرة من العصر الهيلليني، واستمر دون تغير لوقت ليس بالقصير. حقا نحن لا ننكر أنه لم يكن لدي اليونان ديانة بالمعني الحقيقي، بل لم يكن لدييهم سلطة روحية دينية ولا حتى كتب مقدسة، لكن هذا لا يعنى أن اليونان لم تعرف العقائد الدينية الوضعية. وكانت هذه الديانات الوضعية عبارة عن موروث معقد ومتشابك من العادات والتقاليد والطقوس والاساطير المقدسة التي كان اليوناني يتربي على طاعتها وتقديسها فيالحل والترحال. ومن هنا يمكننا القول إنه انحصر الدين لديهم في العرف والعادات والتقاليد الموروثة. وعلي الرغم من ذلك فقد شهدت الساحة اليونانية صور عديدة من صور التمييز الديني وفي بعض الأحيان حالات من الاضطهاد الديني والتعصب ضد المعارضين لنظامها السياسي والديني على حداً سواء.

وقد كان سقراط "شهيد الفلسفة الأول" أكبر نموذج على ذلك وأن كان قد تعرض من قبله العديد من الفلاسفة التنويريين لصور من الاضطهاد الديني. "إلا أن سقراط سيظل رمزا للتعصب والاضطهاد الديني في بلاد اليونان في العصور القديمة.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الأصول الفلسفية للعنصريةاليونانية بين التبرير والتغيير]، وتحت إشراف: أ.د. فضل الله محمد إسماعيل – كلية الآداب – جامعة دمنهور & أ.د. محمود السيد مراد - كلية الآداب- جامعة سوهاج.

١- سقراط والاضطهاد الديني:

في البداية ولكي نصل إلى المعتقدات الدينية التي آمن بها سقراط يجب ألا ننسي الأقاصيص الخرافية عن مغامرات الآلهة ومشاجراتها المشينة، كانت الموروث الثقافي والديني الذي تربي عليه سقراط وأبناء جيله فتشرب سقراط كل هذه الأفكار في عقله. لقد سمع عن الآلهة التي كانت في قديم الزمان تتشاجر وتكذب وتسرق وتهبط في صورة بشرية تحمي أصدقائها وتنكل بأعداءها، وشاهد بعينه الأحتفالات الدينية ومواكب الأضاحي وتمثال آثينا الخشبي يؤخذ لحمام سنوي في مياه البحر، والكعكة التي كانت تقدم للأفعي المقدسة، ورأي الناس تقسم بالآلهة أيماناً مغلظة وسرعان ما ترجع في قسمها، تشرب كل ذلك وكان له موقف من هذا التراث الديني الغريب. [١]

حقا نجده وقد وجه هو وأفلاطون انتقاداتهما العنيفة إلى كل معتقدات السفسطائيين وآرائهم ومنها رأيهم حول الآلهة، إذ أنهم قدموا آراء جريئة حطمت ما كان قائما من معتقدات سائدة، حاول بعد ذلك سقراط وأفلاطون أن يعيدا هذه المعتقدات لكن ليس على ذلك النحو الأسطوري أو الخرافي، بل على أساس عقلى مبرهن عليه مستفيدين في ذلك مما قدمه من قبل انكساجوراس وفيثاغورس واكسينوفان وبارمنيدس.[٢] ألا أنه استطاع في فلسفته أن يحقق المعادلة الصعبة بين العقل الحر المنطلق وبين الإيمان الديني الملتزم، التوافق بين الدين والفلسفة. وثمة جانب آخر من جوانب تميز سقراط الفلسفي ألا وهو اتساقه مع نفسه في تقواه فكانت أفعاله ترجمة صادقة لأفكاره، واعتنق التقوى عقيدة في عقله وطبقها عمليا على سلوكياته، لذلك عاش فلسفته وفلسف حياته. [٣]وعلى الرغم من أنه كان يتحدث عن الآلهة بصفة عامة بصيغة الجمع، وهو يعني بذلك آلهة اليونان التقليدين، إلا أن

(١) محمود السيد مراد: فضيلة التقوي ، ص ٣٣٥

(٢) مصطفي حسن النشار: فكرة الالوهية عند أفلاطون وأثرها الفلسفة في الإسلامية والغربية، مكتبة مدبولى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨م.ص٨٩.

(٣) محمود السيد مراد: فضيلة التقوي ، ص ٤٠٦

المرء يستطيع أن يميز في كلامه ميلًا نحو تصور أكثر نقاء للألوهية.[٤] فلقد امتنع سقراط عن القول بإنكار وجود الآلهـــة، بل إنه كان يشترك في تكريم الآلهة، وكان يحث سامعيه في أية مدينة يتواجد فيها على تكريم الآلهة حسب عادات تلك المدينة.[٥]

كما أشار أيضًا إلي شدة تمسكه بعبادة الإلهة التقليدية في خطبته الأولى في محاورة الدفاع بصدد رفضه استخدام التباكي لاستعطاف القضاة قوله: **"واضح أنني إن نجحت في إقناعكم وأجبرتكم بتوسلاتي على الإخلال بقسمكم (أمام الآلهة أن تحكموا بالعدل)، لكنت بهذا أعلمكم عدم الاعتقاد في وجود الآلهة. .. وما أبعد هذا عني! لأني أعتقد فيهم أكثر من أي واحد من متهمي، وأضع نفسي بين أيديكم وبين يدي الإله للفصل فيما يجب أن يكون أفضل لي ولكم".**[٦]

أذاً امتلك سقراط مفهوما شخصيا للتقوي، وأكبر دليل على ذلك أنه لم يذُكر أبداً في قرار الأتهام ولا في المحاكمة نفسها أنه اتي فعلاً صريحاً لتدنيس المقدسات أو تحقير ألهة المدينة، ولكان سقراط يستحق المحاكمة لأنه ملحد ينكر وجود الألهة لتمت محاكمته قبل ذلك بربع قرن حين صوره أرستوفانيس في السحب منكراً لألوهية زيوس ويقول بألوهية الكاوؤس. وقد روي كسينوفون أن سقراط أعلى من فضيلة التقوى وأعتبرها الشعور الأعظم نبلاً بين كل المشاعر، فلم يكن سقراط ملحدا ينكر وجود الألهة بالجملة، وإلا لقدم ذلك متهموه للمحكمة وكسبوا ادانته بسهولة، وأنما كان الأتهام قائماً على أنه غير مؤمن بآلهة المدينة فقط وليس الألهة بوجه عام.[٧]

---

(٤) فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول" اليونان وروما"، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام تـــاريخ الفلسفة، المجلد الأول، "اليونان وروما"، تـــرجـــمةإمـــام عبد الفتاح إمام، المجـلـس الأعـلـى لـلـثـقـافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، صـــ١٧٢.

(٥)ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.، صـــ١١٧.

(٦) أفلاطون : الدفاع، ضمن كتاب (محاكمة سقراط)، ترجمة عزت قرني ، دار قباء، ط٢ ، القاهرة، ٢٠٠١م فـ ٣٥ د، صـ١٢٩.

(٧) محمود السيد مراد : فضيلة التقوي ، ص ٣٣٧ .

بل لقد اعتقد سقراط أنه مبعوث العناية الإلهية أرسلته للأثينين؛ لهدايتهم، وإنقاذهم من سباتهم، وتقويم المعوج في معتقداتهم، وهذا ما أوضحه بقوله : **" يبدو أن الإله قد جاد بى على المدينة لأقوم بمثل هذا الدور حيث أتولى استنهاضكم، وتحريضكم، وتأنيب كل واحد منكم بلا توقف، وحيثما أحط رحالي في كل مكان طيلة اليوم، لذا فليس من اليسير أن يأتكم رجل آخر من هذه النوعية".**(٨) ولعل خير دليل على إيمان سقراط بوجود الآلهة هو ما يعتقده من أن الشعور الغامض الذي كان ينتابه منذ الصغر، والذي كان كثيراً ما يثنيه عن سلوك معين، إنما هو نبوءة داخلية وُهبها.(٩)

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن يؤمن بوجود عدد كبير من الآلهة المتنافرين فيما بينهم، المتناحرين كالبشر، لا هَمَّ لهم إلا اجتلاب المصالح، والانجراف بالأهواء والشهوات، بدلاً من أن يكونوا مثالًا أعلى وقدوة صالحة؛ ليسير الناس على مناهجها.(١٠) فلقد ذكر سقراط في محاورة " أوطيفرون " رفضه لكل ما يقال عن الآلهة من الأساطير التى تجعلها تسرق وتزني وتخدع، فقال: **" إنه يصعب علىّ حينما يقول أحد مثل هذه الأشياء عن الآلهة، أن أقبلها، لهذا السبب، فيما يبدو، يقول البعض إنني على خطأ".**(١١)

كما اعتقد في عناية الآلهة بالعالم والحياة، وقد ظهرت دلائل هذا الاعتقاد في كثير من محاورات أفلاطون وفى مذكرات كسينوفون، وإذا كان سقراط لم يوضح تمامًا نظريته في خلق العالم إلا إنه كان يقول دائمًا بوجود علة عاقلة تدخل في تكوين المخلوقات، كما كان يؤكد أن ما يحدث في الكون والحياة الإنسانية إنما يحدث بتدبير ونظام وعناية إلهية، فيكفي في رأي سقراط أن ننظر إلى الجسم البشرى لكي نرى كيف نُظمت أعضاؤه بطريقة

(٨) أفلاطون: الدفاع ، فـ٣١أ، صـ١٢٣.
انظر أيضًا: عصمت نصار: الفكر الديني عند اليونان، صـ١٤٠.
(٩) عزت قرني: الفلسفة اليونانية قبل أرسطو ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ت ،ص ص١٨٢، ١٨٣.
(١٠) محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلينستية، عز الدين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٣م، ص ص ١٩٨، ١٩٩.
(١١) أفلاطون: أوطيفرون ، ضمن كتاب (محاكمة سقراط)، ترجمة عزت قرني ، دار قباء، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ٢٠٠١م، فـ ٦ أ، صـ٤٣.

تتيح لها القيام بوظائفها على خير وجه مما يثبت لنا أنها موضع عناية إلهية سامية. (١٢)

لقد كان سقراط يعتبر نفسه خادمًا للإله مؤديًا لرسالته، وفي ذلك كان يقول: **"أيها الأثينيون، إنى أكرمكم وأحبكم....، وما دمت حياً قوياً، لن أقلع عن ممارسة الفلسفة وتعليمها، مستميلًا إليها كل من عسانى مصادفة... إذا اعلموا أن ذلك أمر الإله وإني مؤمن أن الدولة لم تشهد خيرًا أفضل من خدمتي الإله"**. (١٣) ولكن الأهمية تكمن في المقارنة بين تصورين مختلفين هما: **ما يجب أن يكون عليه الدين؟ هل الدين هو فن التبادل التجاري بين الإنسان والآلهة؟**

ويجيب أفلاطون عن هذه الأسئلة في المحاورة على هذا النحو: (١٤)

سقراط : والتضحية أليست تقديم شيء كهبة إلى الآلهة، والدعاء طلب شيء راع منهم ؟ وهكذا فإن التقوى بحسب هذا التعريف ستكون علم الطلب من الآلهة والعطاء المقدم إليهم، **أوطيفرون :** لقد أبدعت يا سقراط في فهم ما قلت.

سقراط : ذلك أننى متعطش إلى علمك يا صديقى، وأنتبه إليه بكل عقلى، وهكذا لا أترك شيئا مما تقول يضيع، والآن قل لي أي شيء هي تلك الخدمة التي تقدم إلى الآلهة، إنها كما تقول تنحصر في الطلب منهم وفي إعطائهم.

أوطيفرون : نعم. سقراط : ولكن أليس أصوب ما نطلبه هو ما نحن بحاجة إليه منهم فنطلبه منهم. **أوطيفرون :** وهل هناك غير ذلك لنطلبه منهم؟ سقراط : ومن جهة أخرى، فإن أصوب ما نعطيه أليس ما يحدث أن يكونوا بحاجة إليه منا، فنهديه إليهم جزاء ما أعطوا، ذلك أنه لن يكون دليلا على المهارة والمعرفة أن يقدم المرء هدية لا يكون الآخر بحاجة إليها، **أوطيفرون** : أنت تقول حقا.

---

(١٢) أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م،صـ١٤٩.

(١٣) أفلاطون: ضمن كتاب محاكمة سقراط ترجمة عزت قرني، دار قباء، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١م.، فـ ٢٩د، صـ١٢١.

(١٤) مصطفي حسن النشار: فكرة الألوهيه عند أفلاطون ، ص ٩٢ .

سقراط : وهكذا يا أوطيفرون، فإن التقوى ستكون نوعا من فن التبادل التجاري بين الآلهة والبشر.**أوطيفرون :** سمه تبادلا تجاريا إن كانت تحلو لك هذه التسمية.(١٥)

ورغم هذه الصعوبة المتعلقة بالاختلاف حول تعريف الدين أو التقوى، إلا أن هذا النص يوضح لنا أن سقراط يؤمن بضرورة الدين ويحاول تفسير العلاقة بين الإنسان والإله هي علاقة طاعة. (١٦) والواقع أن سقراط لم يكن ملحداً ولا مفكراً تنويرياً قاد ثورة تغيير جذرية على الديانة التقليدية، بل كان مجرد مجدد في العقيدة أبقى في فكره على بعض الجوانب الدينية التقليدية مثل: الإيمان بالنبوءات وصدق العرافين، وتقديم الصلوات والقرابين المألوفة لآلهة المدينة، كما جدد في الوقت نفسه بعض الجوانب فيها مثل تأكيده على وحدانية الإله وتنزهه عن الصفات الدنيئة أخلاقياً، وكمال علمه وقدرته، وشمول العناية الإلهية للعالم أجمع، وتمركزها حول الإنسان(١٧)

المعلوم أن الحكم على سقراط بالإعدام عام ٣٩٩ ق.م كان نتيجة لاتهامه بالإلحاد وابتداع آلهة جديدة، وبإفساد الشباب في أثينا، وقد وقف مدافعاً، عن نفسه أمام المحكمة التي تألفت المواطنين من صبيحة يوم هو واحد وخمسمائة محلف تم اختيارهم بالقرعة من سجلات المحاكمة، لقد أتت محاورة الدفاع بالاتهام الموجه لسقراط بأنه مذنب لأنه يفسد الشباب ولا يعتقد في الآلهة التي تؤمن بها المدينة(١٨) **وهو اتهام من شقين:**

- **الأول: سياسي** وهو الاتهام الحقيقي وراء الاتهام الرسمي وهو معارضة سقراط لخصائص النظام الديمقراطي.

(١٥) أفلاطون : : أوطيفرون ، ضمن كتاب (محاكمة سقراط)، ترجمة عزت قرني ، ص ٦٤ .

(١٦) مصطفي حسن النشار: فكرة الألوهيه عند أفلاطون ، ص٩٤

(١٧) محمود السيد مراد: " الأرهاب الديني والفكري لمدينة آثينا في القرن الخامس ق. م، ص ١٠٣ .

(١٨) أفلاطون: الدفاع ، ضمن كتاب (محاكمة سقراط)، ترجمة عزت قرني، ف ١٧ ب، ص ٦٧

- **الثاني: ديني** وهو عدم اعتقاد سقراط بالآلهة التقليدية علي الرغم من وجود عديد من الدلائل التي توحي باعتقاده في وجود بعض الآلهة.[١٩]

إذا نظرنا إلى محاكمة سقراط سنجدها تمثل أروع تمثيل لإيمانه بخير الدولة ومعتقداتها، وخير الفرد سويًا حيث توجد هوة تفصل بين الأخلاق والسياسة، فإذا نادي السوفسطائيون الناس بكسر القوانين، إن استطاعوا دون أن ينالهم عقاب إلا أن سقراط كان أول شهيد لحرية وطاعة هذه القوانين وكفر بكل ما كان يدعوا إليه السوفسطائية، وآمن باحترام القانون وحرص تمامًا على ألا يتعدي علي حرمته أح[٢٠] إنها أفكار سقراط السياسية وليست الدينية التي جلبت عليه هذا المصير المشؤوم، وليست الاتهامات الثلاثة التي كيلت إليه سوى محاولة لتشتيت الانتباه بعيداً عن الأسباب الحقيقية. بل إن الطابع الديني للمحاكمة لا يمكن فهمه إلا على أضواء سياسية؛ فتهمة الإلحاد لم تكن لتنتهي إلى الإعدام، فكثيراً ما أنكر الفلاسفة وجود الآلهة اليونانية وشككوا فيها، ووجهوا نقدهم للأساطير الأولمبية بشكل يفوق ما نسب إلي سقراط قوة وجلبة، ومع ذلك لم يتعرضوا للمصير نفسه.[٢١]

لقد رفض سقراط اقتراح الهروب فاعتبره غير قانوني واختار أن يشرب السم وكان موته أعظم انتصار لقضيتة وتآليه لفلسفتة.[٢٢] ولم يكن هو ولا النظام الديمقراطي الأثيني نفسه يعلم أنه لولا الديمقراطية لما وجد، والديمقراطية من ناحيتها لم تكن تعلم أن موته هو في حد ذاته قضاءاً عليها نفسها، لذا يمكن القول إن الديمقراطية قد جنت على نفسها عندما أفسحت المجال للجدل السقراطي، فقد كاد هذا الجدل أن يقضي عليها، وجنت على نفسها بالتخلص من مفجر هذا الجدل. لم يكن سقراط راضياً عن أوضاع أثينا

---

(١٩) إرنست باركر: النظرية السياسية عند اليونان، الجزء الأول، ترجمة لويس إسكندر، راجعه محمد سليم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦ م، ص١٧٠.

(٢٠) ريمون غوش: الفلسفة في العهد السقراطي، دار الساقية، الطبعة الأولي، لبنان ، ٢٠٠٨ م ، ص٣٠٢

(٢١) محمود السيد مراد: المرجع السابق ، ص ١٠٥

(22) Zeller; Outlines of The History of Greek Philosophy, revised by Dr.Wilhelm Nestle, translated by L.R. Palmer P. 122.

المتردية في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد،قد أوضح ما فعلته سياسة الديمقراطية من إفساح المجال لحرية الأفراد في الحديث عن كل شيء رغم عدم جدارتهم لهذا، كان قلب سقراط يحنّ إلى مجد أثينا القديم في ظل أبطالها الأرستقراطيين القدماء.(٢٣) لكن متهمو سقراط الثلاثة، اتهموا سقراط بذكاء وخبث شديدين لأنهم يعرفون أن ديانة اليونان كانت تعاقب كل استهانة بالآلهة من خلال مخالفة الطقوس الدينية، حيث كان الاعتراف والعبادة لآلهة الدولة حقاً واجباً على المواطنين لأن الآلهة كانت في نظر الشعب الأثيني حارسة المدينة. وهناك دليل إضافي على أن محاكمة سقراط تمت لأسباب سياسية وليست دينية بحتة، وهو أن دولة المدينة اليونانية كانت هي التي تحدد عن طريق التشريع- الآلهة التي تختصها بالعبادة والتبجيل، وتنظم الطقوس الدينية والشعائر التي يلتزم بها المواطنون، فتعتبر الديانة وظيفة اجتماعية أو مدنية، وانعكاساً لطرق الحياة المحلية وتقاليدها، ومن ثم كان الاتهام بأن المرء غير مؤمن بآلهة المدينة جريمة سياسية عند الإغريق في المقام الأول وليست جريمة دينية. (٢٤) وعقب تنفيذ حكم الإعدام في سقراط الذي روى مشهده المأساوي الأخير أفلاطون في محاورة أقريطون، فر تلاميذه وحواريوه خوفاً من بطش أثينا وتنكيلها بأتباعه، حيث هرب أفلاطون إلى ميجارا.(٢٥)

لقد تحولت أثينا بعد صدور قانون محاربة الهرطقة عام ٤٣٢ ق. م إلى أداة قمع للحريات الدينية والفكرية، ونصبت محاكم التفتيش للمفكرين الأحرار كما يقول دودس E.R.Dodds فقد أصبح الكفر بآلهة الديانة اليونانية التقليدية وأساطيرها، وكذلك الاشتغال بدراسة الفلك والظواهر السماوية جرائم هرطقة تستوجب المحاكمة العاجلة، وضمت قائمة الضحايا قادة الفكر النقدي الحر في أثينا من أمثال: أنكساجوراس،والفيلسوفة أسبازيا،

(٢٣) أميرة حلمي مطر : الفلسفة عند اليونان، دارالنهضة، القاهرة، ١٩٦٨ م، ص ٤٤
(٢٤) محمود السيد مراد: : " الأرهاب الديني والفكري لمدينة آثينا في القرن الخامس ق. م، ١٠٩.
(٢٥) ول ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديوي، ترجمة / فتح الله محمد المشعشع، ص ٢٠ .

وديأجوراس أستاذ بريكليس، وبروتاجوراس السفسطائي، ويوربيدس الكاتب المسرحي، وأخيراً سقراط. وصدرت معظم الأحكام بالإدانة، وتنوعت العقوبات بين النفي والإعدام وإحراق المؤلفات. وكأن عصر الاستنارة الذهبي لبلاد اليونان أبي إلا أن يكون أيضاً عصر الاتهام والنفي للعلماء الأحرارن وإعدام الفلاسفة وحرق مؤلّفاتهم. تماماً مثلما كان الحال في القرن الثامن عشر في أوروبا، والذي شهد نبوغ وسطوع نجوم التنوير من امثال : فولتير، جان جاك روسو، جون لوك، ديدر، مونتيكسيو وغيرهم، وفي الوقت ذاته حفل بمحاكماتهم ومطارداتهم ومصادرة مؤلّفاتهم حتى اضطروا إلى نشرها مهرية ومغفلة لأسماء أصحابها، أو ذيلت بأسماء مستعارة .(٢٦)

تعقيب:

١- علي الرغم من أن الديانة اليونانية لم تكن ديانة سماوية ولم يكن لديهم كتب مقدسة، بل كانت وضعية من وحي خيالهم والدليل علي ذلك ما صوره هوميروس وهزيود داخل الإلياذة والاوديسا، إلا أن العالم اليوناني لم يعرف أي نوع من السلطة الكهونيتية القوية.
٢- يعتبر سقراط أكبر دليل علي الاضطهاد الديني فعلي الرغم من إيمانه بالآلهة والدور الأصلاحي الذي حاول القيام به في المجتمع الآثيني، إلا أن الأتجاهات السياسية استطاعت أن تتهمه بالألحاد وذلك لعلمهم أنه سوف يلقي عليه أقصي عقوبة بهذا الأتهام، بسبب العاطفة الشعبية الغيورة والقوية التي كانت لدى العامة من الثنينين والذين تشكلت منهم اصلا هيئة المحلفين في المحكمة.

(٢٦) محمود السيد مراد: الأرهاب الديني والفكري لمدينة آثينا في القرن الخامس ق. م"، ص ١١٠ .